منهج الشيخ عبد الحميد بن محمود بن طهماز في تفسيره للقران الكريم

((سورة البقرة إنموذجا))

إعداد

د . عبد الله إبراهيم رحيم الهيتي

التدريسي في كلية العلوم الإسلامية – الرمادي

المقدمة

الحمـــد لله رب العـــالمين وأفضـــل الصـــلاة وأتـــم التســـليم علـــى ســـيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه وأحبابه إلى يوم الدين وبعد ...

فقد أنزل الله عز وجل القران الكريم على سيدنا رسول الله ﷺ بلسان عربي مبين، ليبشر به المؤمنين، وينذر به الكافرين، قال تعالى: ((**وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَاناً عَرَبِيّاً لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ**))[1] .

و كان هذا القران الكريم ولا يزال هو دستور الأمة الذي وضعه الله لعباده ، ينظم لهم شؤون الحياة ، ويبين لهم الحقوق والواجبات ، ويهديهم للتي هي أقوم في العقائد والعبادات ، والأخلاق والمعاملات ، ولذلك أدرك المسلمون الأولون والآخرون عظم شأن هذا القرآن الكريم ، وأهميته البالغة في تنظيم أمور حياتهم ، وتقويم أخلاقهم ، وتهذيب سلوكهم، ومن ثم عنوا به عناية بالغة وكبيرة ، وقام العلماء المسلمون _عبر العصور_ على إحاطته بكل أسباب الرعاية ، من جميع الجوانب ، وكان أبرز شيء من هذه الرعاية هو تفسير آياته للناس لعلهم يهتدون .

ومن هؤلاء العلماء الذين قاموا بتفسير القران الكريم فضيلة الشيخ عبد الحميد بن محمود بن طهماز رحمه الله تعالى، فقد قام بتفسيره تفسيرا موضوعيا وألف كتابا في ذلك كان تحت عنوان ، ((التفسير الموضوعي لسور القران الكريم)) ، والذي دعاني أن أبحث فيه قيمته العلمية وأهميته، والذي يعد من التفاسير الحديثة الرصينة ، وهناك دافع آخر حملني إلى البحث في تفسير هذا العالم الجليل ، علمه الغزير ومؤلفاته الكثيرة التي أغنى بها المكتبات الإسلامية .

وقد اقتضت طبيعة البحث في هذا الموضوع أن اقسمه على مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة، أما المقدمة فقد تضمنت أسباب اختيار الموضوع وأهميته ، وخطة البحث ، أما تقسيم المباحث فكان على النحو الآتي :

المبحث الأول : حياته الشخصية والعلمية .

وذكرت فيه شيئا مختصرا عن سيرته الشخصية والعلمية .

المبحث الثاني : منهجه العام في التفسير وقيمته العلمية ومصادر تفسيره .

وقد تضمن ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : منهجه العام في التفسير .

١- سورة الأحقاف آية /١٢

وقد تطرقت فيه عن منهجه العام في التفسير عن طريق سورة الأعراف وبعض الأمثلة الأخرى التي تبين هذا المنهج .

المطلب الثاني : القيمة العليمة لتفسير طهماز .

وقد بينت القيمة العلمية لتفسيره عن طريق قراءتي لتفسير هذا العالم الجليل .

المطلب الثالث : مصادر تفسيره .

وقفت فيه على بعض المصادر التي اعتمدها في تفسيره للقرآن الكريم .

المبحث الثالث : سورة البقرة انموذجا .

اخترت هذه السورة من بين سور القرآن الكريم لأنه رحمه الله تعالى قد فصل فيها القول وأحاطها بعناية خاصة .

أما الخاتمة فذكرت فيها أهم ما توصلت إليه من نتائج ، وقد ذكرت في نهاية البحث قائمة بالمصادر والمراجع التي اعتمدتها في بحثي المتواضع هذا ، والحمد لله أولا أخيرا ... وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

الباحث

المبحث الأول
حياته الشخصية والعلمية

بداية أود أن اذكر إلى أنني لم أجد مصادر تتحدث عن سيرته بشقيها الشخصية والعلمية، وقد حاولت أن أتصل بعائلته بشتى الوسائل علها تعينني في ذلك لكنني مع الأسف لم استطع ذلك ، ومن خلال بحثي حول هذا الموضوع ، وجدت مقابلة شخصية مع الشيخ أجراها أحد تلامذته بتأريخ ٢٠١٠/١/٢ أي قبل وفاته رحمه الله تعالى بشهر تقريبا، تحدث فيها الشيخ عن سيرته الشخصية والعلمية بشيء من الاختصار وقد نشرت هذه المقابلة الشبكة العنكبوتية الانترنت، عبر موقع ((منتدى التأريخ الإسلامي)، وهذه أهم ما تناولته المقابلة..

اسمه:

عبد الحميد محمود طهماز الحموي

ولادته:

ولد في مدينة حماة بسورية عام ١٣٥٦ هـ ١٩٣٧ م ، ونشأ فيها وتعلم في مدارسها حتى نال الشهادة الثانوية .

دراسته :

أنتسب إلى كلية الشريعة بجامعة دمشق وتخرج فيها مع الدفعة الثانية عام ١٩٥٧ م

شيوخه:

لازم الشيخ محمد الحامد الحموي رحمه الله تعالى ، ملازمة تامة ، لمدة سبع سنوات ، وأفاد من علمه الكثير .

ومن شيوخه في كلية الشريعة بدمشق : الدكتور مصطفى السباعي ، والأستاذ محمد المبارك، والعلامة مصطفى الزرقا ، والدكتور محمد معروف الدواليبي ، والشيخ محمد المنتصر الكتاني ، والدكتور محمد فتحي الدريني ، والدكتور مصطفى الخن .... وغيرهم كثير رحمهم الله تعالى أجمعين..

أقرانه :

ومن أقرانه في كلية الشريعة : الشيخ الدكتور محمد هشام البرهاني ، والشيخ الدكتور محمد عجاج الخطيب ، والدكتور محب الدين أحمد أبو صالح ، والدكتور محمد فاروق بطل ، وغيرهم .

أعماله ووظائفه:

عمل بعد تخرجه في كلية الشريعة ، مدرسا لمادة التربية الإسلامية ، في ثانويات : أبي الفداء ، والسيدة عائشة ، وابن رشد ، بمدينة حماة ، إضافة إلى عمله خطيبا ومدرسا بجامع السلطان بحماة خلفا للشيخ محمد الحامد رحمه الله تعالى ، لمدة ١٢ سنة .

ثم سافر إلى الرياض عام ١٩٨٠ م ، وعمل معيدا في معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها التابع لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، لمدة سنتين ، وشارك في إعداد المنهج الدراسي للطلاب .

ثم ذهب إلى المدينة المنورة ، فدرس في المعهد العلمي لمدة سنتين ، ثم في المعهد العلمي في نجران ، لمدة سنتين أيضا ، ثم انتقل إلى مكة المكرمة عام ١٩٨٨ م ، ودرس في المعهد العالي لإعداد الأئمة والدعاة ، التابع لرابطة العالم الإسلامي .... إلى أن أحيل إلى

التقاعد ، وأشرف في عمله على بعض رسائل الماجستير لعدد من الطلاب المتخرجين منه ، وبعد تقاعده عن العمل في المعهد تفرغ للبحث والتأليف ، وأقام في مكة المكرمة ثم في الرياض

نشاطاته ومشاركاته :

سافر إلى تايلاند ، للعمل في دورة علمية لبعض الطلاب هناك ، وقد نظمت هذه الدورة رابطة العالم الإسلامي .

سافر إلى جنيف بسويسرا ، لإلقاء خطب جمعة ودروس ومحاضرات في المركز الإسلامي ((ثلاث مرات)) ، ومرة واحدة إلى رومانيا وبولندا ، للإصلاح بين المسلمين هناك، مع وفد شكلته الرابطة لذلك .

نشر بعض المقالات عندما كان يعمل في الرابطة ....

حج لأول مرة عام ١٩٦٩ م ، مع محسن الحامد ، ابن شقيق الشيخ محمد الحامد الحموي ، وكان يرى أنه من أراد تكرار الحج فعليه أن يحج حجة كاملة مستوفية للأركان والشروط والسنن، ولا يتتبع الرخص والأقوال الضعيفة في أداء هذه الشعيرة ، وان كان عاجزا عن ذلك فان الشرع لم يكلفه بتكرار الحج .

إجازاته :

أجازه شيخه محمد الحامد الحموي رحمه الله تعالى ، بجميع الإجازات التي حصل عليها ، عن جميع شيوخه ولاسيما الشيخ أبو النصر خلف الحمصي رحمه الله تعالى .

مؤلفاته :

١- أهمها تفسيره المفيد السهل لكل سور القرآن الكريم تفسيرا موضوعيا ، وسيصدر قريبا عن دار القلم مجموعا في ستة مجلدات بعدما كان يصدر تفسير كل سورة في كتاب مستقل .

٢- إرشاد الناس إلى أحكام الحيض والنفاس .

٣- الصحيح إن كل ما في البخاري صحيح .

٤- نظرات في كتاب الحلال والحرام في الإسلام ، للدكتور يوسف القرضاوي، وهو بيان أخطاء وشذوذات في كتاب القرضاوي .

٥- العلامة المجاهد محمد الحامد : كتاب من كتب ((سلسلة أعلام المسلمين)) التي تصدرها دار القلم .

٦- ميزات الشريعة الإسلامية على القوانين الوضعية .

٧- الفقه الحنفي في ثوبه الجديد ((خمسة مجلدات)) .

٨- السيدة عائشة : أم المؤمنين وعالمة نساء الإسلام .

٩- عبدا لله بن عباس رضي الله عنهما : الإمام البحر وعالم العصر .

١٠- أنس بن مالك : الخادم الأمين والمحب العظيم .

١١- السيدة خديجة : أم المؤمنين وسباقة الخلق إلى الإسلام .

١٢- أبو موسى الأشعري : الصحابي العالم المجاهد .

١٣- معاذ بن جبل : إمام العلماء ومعلم الناس الخير .

١٤- أمهات المؤمنين .

١٥- النور والسراج المنير.... وهو كتيب يرد فيه على من يقول بان الذات النبوية الشريفة مخلوقة من نور .

١٦- الأنساب والأولاد .

١٧- حقوق الإنسان في الإسلام .

١٨- فتيان أسلم .... قصص من السيرة النبوية .

١٩- فرسان مخزوم .... قصص من السيرة النبوية .

٢٠- حياتنا والموعد المجهول .

٢١- الأربعون العلمية : صور من الإعجاز العلمي في السنة النبوية .

٢٢- السنن الإلهية في الخلق .

٢٣- أحكام الصيام ، طبع مستقلا ، ثم ضم إلى كتاب : الفقه الحنفي في ثوبه الجديد .

٢٤- يا بني إسرائيل.

وفاته :

انتقل رحمه الله تعالى إلى عالم الآخرة مساء يوم الجمعة ١٥/صفر/١٤٣١هـ الموافق ٢٠١٠/١/٣٠ م، في مدينة الرياض، عن عمر بلغ الثالثة والسبعين عاما، رحمه الله تعالى رحمة واسعة وجزاه الله عما قدم لدينه وأمته خير الجزاء..

المبحث الثاني
منهجه العام في التفسير وقيمته العلمية ومصادر تفسيره
المطلب الأول
منهجه العام في التفسير

اتجه الشيخ عبد الحميد طهماز في تفسيره للقرآن الكريم إلى محاولة إبراز الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية ، ومن الأمثلة على ذلك : ما قاله في بداية سورة الأعراف : ((ومع أن سورة الأعراف من أطول السور القرآنية ، فان وحدتها الموضوعية تبرز بوضوح لكل من يتدبر معاني آياتها، فآياتها متكاملة فيما بينها ، يفسر بعضها بعضا ، ويكمل بعضها بعضا ، وقد تعمدت أن أظهر للقارئ هذا الجانب بكثرة استشهادي في تفسير آيات السورة من السورة نفسها، كما سيرى القارئ هذا واضحا في أول الكتاب وآخره إن شاء الله تعالى ، مما يدلل على شدة الانسجام والاتساق بين آيات السورة حول موضوعها الأساسي ، وهو بيان الأسباب الرئيسية الكبرى لهلاك الأمم وسقوط الحضارات))[1].

وقد أرجع سقوط الحضارات في تفسيره لسورة الأعراف إلى الأسباب الآتية..

١- الانحراف عن أصل الفطرة في الاعتقاد ، والإعراض عن دين الله تعالى وأحكام الشريعة

٢- الانحراف عن سنن الفطرة والشذوذ في العلاقات الجنسية .

٣- الاغترار بالقوة والتكبر والطغيان والعدوان .

٤- الطمع والجشع وسلب حقوق الناس .

٥- الاستبداد وتحكم الفئة الفاسدة في السلطة والحكم ، ومماألأة العامة لهم والركون إليهم .

٦- تحجر المشاعر وتلبد المدارك ، بسبب السرف والترف والانهماك بشهوات الحياة الأرضية المادية .

٧- الانسلاخ عن الشعور بالمسؤولية وإنكار يوم الحساب والجزاء .

و قسم سورة الأعراف وفسرها تفسيرا موضوعيا تبعا لهذه الأسباب، وقد انتهج هذا المنهج في كل تفسيره.

١- أسباب هلاك الأمم وسقوط الحضارات في سورة الأعراف / ٧ .

أما عن منهجه رحمه الله تعالى بشكل عام فيتلخص فيما يأتي :

أولا : تفسير القرآن بالقرآن

ومن الأمثلة على ذلك..

١- قال الله تبارك وتعالى: ((**وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**))[١] : قال رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية : (الطُّورَ) أي: جبل الطور، رفعه الله تعالى بمشيئته وقدرته فوق رؤوسهم ، حتى يذعنوا للميثاق ويرضوا به ، وهذا يدل على أنهم في أول الأمر لم يذعنوا له ، ولم يقبلوا به ، فأكرهوا على ذلك ، ورفع الجبل فوقهم ، حتى صار بمثابة المظلة فوقهم ، كما في قوله تعالى : ((**وَإِذ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّواْ أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**))[٢].

٢- قال الله تبارك وتعالى : ((**تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاء اللّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُواْ فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَاء اللّهُ مَا اقْتَتَلُواْ وَلَكِنَّ اللّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ**))[٣] قال رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية : (الْبَيِّنَاتُ) أي : الأدلة التي تبين صدقه وصحة رسالته ، وهو المعجزات التي أجراها على يده ، والمذكورة في قوله تعالى : ((**إِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ**))[٤].

١- سورة البقرة آية / ٦٣ .

٢- سورة الأعراف آية / ١٧١ ،و ينظر : الإسلام لله تعالى في سورة البقرة / ٨٧ .

٣- سورة البقرة آية / ٢٥٣ .

٤- سورة المائدة آية / ١١٠ ، وينظر : الإسلام لله تعالى في سورة البقرة / ١٠٥ وما بعدها .

٣- قال الله تبارك وتعالى : ((**وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ**))[١] قال رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية: وقد فصلت الآيات في موضع آخر كيفية إلقائه، بقوله تعالى: ((**أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي**))[٢] .

ثانيا : تفسير القرآن بالسنة

ومن الأمثلة على ذلك ....

١- قال الله تبارك وتعالى ((**وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُواْ هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً وَادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّداً وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ**))[٣] قال رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية:(الْمُحْسِنِينَ) أي : الذين أحسنوا في عبادتهم وطاعتهم ، لأنهم يشعرون برقابة الله تعالى عليهم ، كما ورد في الحديث الشريف : قال: ((**ما الإحسان ، قال: أن تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فهو يراك**)) [٤].

٢- قال الله تبارك وتعالى : ((**فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزاً مِّنَ السَّمَاء بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ**))[٥] قال رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية: (الرجز) أي : الذي أنزله الله تعالى على بني إسرائيل ، وهو وباء الطاعون، فعن أسامة بن زيد رضي الله عنه أن(رسول الله ﷺ) قال: ((الطاعون رجز أو عذاب أرسل على بني إسرائيل، أو على من كان قبلكم ، فإذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه ، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه)) [٦].

١- سورة القصص آية / ٧.

٢- سورة طه آية / ٣٩ ، وينظر : عاقبة الطغيان والفساد في سورة القصص / ١١ .

٣- سورة البقرة آية / ٥٨ .

٤- صحيح البخاري _ باب سؤال جبريل النبي ﷺ ١/ ١٩ ، رقم الحديث (٥٠) ، صحيح مسلم _ باب الإيمان ما هو وبيان خصاله ١/ ٤٠ ، رقم الحديث (٥٠) .

٥- سورة البقرة آية / ٥٩ .

٦- صحيح مسلم _ باب الطاعون والطيرة ٤/ ١٧٣٧ ، رقم الحديث (٢٢١٨) .

ثالثا : ربط التفسير القرآني بالواقع المعاصر

ومن الأمثلة على ذلك ..

١- قال الله تبارك وتعالى : ((**يَا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاء لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ**))[١] قال رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية : فهدف الشيطان إظهار المفاتن وإبراز العورات ، بشكل يثير الغرائز ويفجر الشهوات ، حتى أصبح الناس في كثير من الحالات لا يستطيعون التمييز بين الكاسيات والعاريات[٢].

٢- قال الله تبارك وتعالى : ((**وَلَكِنَّا أَنشَأْنَا قُرُوناً فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنتَ ثَاوِياً فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ**))[٣]. قال رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية: ومن الشبهات التي كان مشركو مكة يتشبثون بها ، سترا لعنادهم وتعنتهم ، ما حكاه الله تعالى عنهم في هذه الآية ، أي : إن اتبعناك نخرج من أرضنا ونشرد عن بلدنا ، لأن العرب تغزونا وتتألب علينا .

وهذه الشبهة يرددها في العصر الحاضر أيضا المعارضون لتطبيق الشريعة الإسلامية ، فهم يخافون من غضب الدول الكافرة عليهم ، ومقاطعتهم اقتصاديا ومنع المساعدات ، وما يسمونه بالتقنية الحديثة عنهم ، مع أنهم في الحقيقة يحتاجون إلينا أكثر مما نحتاج إليهم ، يحتاجون إلى المعادن والكنوز التي جعلها الله تعالى في بلادنا ، كما يحتاجون إلى تصريف بضائعهم في أسواقنا ، ولكنه الخور والعجز والتقليد الأعمى لهم ، وقد رد الله سبحانه تعالى عليهم بتذكيرهم بفضله ، وأن الأمن والرزق والقوة كلها منوطة بمشيئة الله تعالى وقدرته[٤] .

١- سورة الأعراف أية / ٢٧ .

٢- ينظر : أسباب هلاك الأمم وسقوط الحضارات / ٣٦.

٣- سورة القصص آية / ٤٥ .

٤- ينظر : عاقبة الطغيان والفساد في سورة القصص / ٥٧ .

٣- قال الله تبارك وتعالى : ((**ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**))[١]. قال رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية: (ظهر الفساد). أي : ظهر الخلل والاضطراب في بيئة الحياة ، وانتشر في البر والبحر ، بسبب فجور الناس وكفرهم ومعاصيهم ، وكأن الآية تبين السبب الأساس للخطر الكبير ، الذي تنبه عليه الناس أخيرا ، وهو ما يسمونه تلوث البيئة ، وهذا التلوث نتيجة لتلوث عقائد وأخلاق وسلوكيات أكثر الناس ، فالكون مخلوق على أكمل نظام وأحكمه ، ومهيأ لحياة الناس غلى أتم الوجوه ، وان من النواميس التي قدرها العليم الحكيم ، أن يكون استمرار الإحكام والإتقان في هذا الكون ، منوطا بصلاح عقائد المكلفين ، وبالتزامهم بشريعة ربهم ، خالق الكون ومدبر أمره[٢].

رابعا : التعقيب على أقوال المفسرين

ومن الأمثلة على ذلك ..

- قال الله تبارك وتعالى: ((**وَلَمَّا وَرَدَ مَاء مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاء وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ**))[٣] قال رحمه الله تعالى عند بيان الشيخ الكبير الذي ورد ذكره مع موسى (عليه السلام): ورأى أكثر المفسرين أن هذا الرجل هو نبي الله شعيب ، الذي أرسله الله تعالى إلى أهل مدين ، لكن عصر موسى متأخر عن عصر شعيب، فقد أشارت إحدى الآيات القرآنية إلى أنه كان قريبا من عصر إبراهيم ولوط عليهم السلام ، ففيها حكى الله تعالى من كلام نبي الله شعيب وهو يعظ قومه قائلا: ((**وَيَا قَوْمِ لاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ**))[٤]. ثم لو كان هذا الرجل نبي الله شعيبا حقا ، لعرف الرعاة فضله ، وأسرعوا إلى سقاية غنمه ، لأنهم لابد أن يكونوا من البقية المؤمنة الصالحة التي نجاها الله تعالى من العذاب معه ولا حاجة بنا إلى التكلف في معرفة اسم الرجل وهويته ، والأولى أن نقول

١- سورة الروم آية / ٤١ .

٢- ينظر: الإنسان والسنن الكونية في سورة الروم / ٣٧ .

٣- سورة القصص آية / ٢٣ .

٤- سورة هود آية / ٨٩ ، وينظر : عاقبة الطغيان والفساد في سورة القصص / ٢١ .

كما قال الإمام ابن جرير الطبري: (وهذا مما لا يدرك إلا بخبر ، ولا خبر بذلك تجب حجته) [١] .

خامسا : إعراضه عن الإسرائيليات

ومن الأمثلة على ذلك..

١- قال عن فتنة داود : ((وقد جاءت أخبار وقصص في أمر داود عليه السلام ، أكثرها لا يصح ولا يتصل إسناده ، ولا ينبغي أن يتجرأ على مثلها إلا بعد المعرفة بصحتها))[٢].

٢- قال عند تفسير قوله تعالى: ((**وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ**))[٣] . وسبب فتنته كما ذكر المحققون هو ما ورد في الحديث الصحيح ، فعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال (قال سليمان بن داوود : لأطوفن الليلة على سبعين امرأة تحمل كل امرأة فارسا يجاهد في سبيل الله، فقال له صاحبه: إن شاء الله ، فلم يقل ، ولم تحمل إلا واحدا ساقطا أحد شقيه، فقال النبيﷺ: لو قالها لجاهدوا في سبيل الله). وأما ما يروى من حديث الخاتم والشيطان وعبادة الوثن في بيت سليمان عليه السلام فهي أباطيل اليهود[٤].

٣- وقال عن ابتلاء أيوب ومرضه: ((وفي كتب التفسير روايات متعددة لسبب ابتلاء أيوب عليه السلام ، منها أنه أعجب بكثرة ما له ، أو استغاثة مظلوم فلم يغثه ، أو كانت مواشيه في ناحية ملك كافر فداهنه من أجلها ، أو ذبح شاة وأكلها وجاره جائع ، أو رأى منكرا فسكت عنه . ولاشك أن تعدد مثل هذه الروايات واختلا فها يدل على عدم صحتها ، كما أنها لا تليق بما عرف من أخلاق الأنبياء ، فهم معصومون بعصمة النبوة ولا سلطان للشيطان عليهم))[٥].

١- جامع البيان للطبري ١٩ / ٥٦٢ ، وينظر : عاقبة الطغيان والفساد في سورة القصص/ ٢٢ .

٢- القرآن والمغيبات في سورة ص/ ١٢٠.

٣- سورة ص آية / ٣٤ .

٤- صحيح البخاري باب قول الله تعالى ((ووهبنا له اسحق....)) ٤/ ١٦٢ رقم الحديث (((٣٤٢٤)) ،و ينظر : القرآن والمغيبات في سورة ص/ ١٣٠-١٣١.

٥- المصدر نفسه/ ١٣٥.

وينبغي التنبيه هنا إلى أن المرض الذي ابتلى به لم يكن منفرا ومستقذرا بحيث يجعل الناس ينفرون عنه كما ذكر في بعض كتب التفسير[١].

سادسا : ترك الخوض في بيان المبهمات التي سكت عنها القرآن الكريم

ومن الأمثلة على ذلك ..

١- قال الله تبارك وتعالى: ((**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ**))[٢] قال رحمه الله تعالى في تفسر هذه الآية: ((ولم يبين الآية جنسهم ومكان ديارهم ، فعدم معرفة جنسهم ومكانهم وتأريخهم لا يؤثر على مغزى الخبر وعظاته ، يكفينا ما ذكرته الآية لنا فلا نسعى ، كما فعل أكثر المفسرين، لمعرفة أمور لا فائدة من معرفتها))[٣].

٢- قال الله تبارك وتعالى : ((**قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْراً فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ۞ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ**))[٤]. قال رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية: ((وقد سكتت الآيات عن تعيين المنكوحة وبيان مقدار المهر والأجرة ، كما سكتت عن تفصيل ما حدث لموسى بعد ذلك في مدين ، فان من عادة القرآن الكريم لا يهتم بذكر دقائق التفاصيل ، التي لا يترتب على ذكرها عبرة))[٥].

٣- قال الله تبارك وتعالى : ((**وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ**))[٦] قال رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية: ((وقد اختلف المفسرون في هوية هذا الرجل ، وفي زمنه وبلده وصنعته، ولا

١- المصدر نفسه / ١٣٦.

٢- سورة البقرة آية / ٢٤٣ .

٣- ينظر : الإسلام لله تعالى في سورة البقرة / ٢٧٥ .

٤- سورة القصص آية / ٢٧_٢٨ .

٥- ينظر : عاقبة الطغيان والفساد في سورة القصص / ٢٨ .

٦- سورة لقمان آية / ١٢ .

حاجة إلى معرفة هذه الأمور والخوض فيها ، فالمهم أنه تعالى أعطاه الحكمة ، فكان الرجل حكيما ولم يكن نبيا))[1].

المطلب الثاني

القيمة العلمية لتفسيره

بما أن فضيلة الشيخ عبد الحميد محمود طهماز رحمه الله تعالى ، يعد من المفسرين المعاصرين ، والذين كانت لديهم جهود مباركة لتفسير القرآن الكريم ، فان العثور على مصادر تتحدث عنهم وعن مؤلفاتهم ، يعد من العقبات الكبيرة جدا أمام الباحث الذي يريد أن يكتب عن هؤلاء العلماء ، وقد واجهتني هذه العقبات في بحثي المتواضع هذا..

لكن مع ذلك وجدت أحد الباحثين في التفسير الموضوعي قد كتب عن شيخنا ما نصه:((وممن لهم مساهمة في محاولة إدراك الوحدة الموضوعية للسورة الأستاذ عبد الحميد طهماز ، الذي أصدرت له دار القلم بدمشق سلسلة (من موضوعات سور القران) ، وقد أصدر من هذه السلسلة اثنتين وعشرين حلقة ، تكلم فيها عن اثنتين وعشرين سورة ، إن محاولة الأستاذ طهماز جيدة ، وان لم تكن وفق المنهج الذي نريده ، والطريقة التي نرتضيها)) [2].

لكني وجدت من المناسب أن أرد على هذا الكلام ، ليس تهجما على أحد ولكن إحقاقا للحق، مع إجلالنا واحترامنا لكل الآراء الموافقة والمخالفة لنا..

لذلك وعند قراءتي لهذا التفسير، فقد سجلت بعض النقاط والتي وجدت من المناسب أن أذكرها وهي كالآتي..

أولا: إن فضيلة الشيخ عبد الحميد طهماز كان له باع طويل في العلم ، ويظهر ذلك من خلال الكتب الكثيرة التي ألفها ، والتي أغنى بها المكتبات الإسلامية ، في جميع التخصصات ، ومنها التفسير الموضوعي والذي ألف فيه كتابا ، إذ كان منهجه في هذا الكتاب محاولة إظهار الوحدة الموضوعية لسور القران الكريم ، حيث كان يدير تفسير السورة في كاملها على أشهر موضوع ارتكزت عليه.

١- المقابلة الحكيمة والموازنة المستحيلة في سورة لقمان / ١٣ .

٢- التفسير الموضوعي للخالدي/ ٥٨.

ثانيا : التزم المؤلف بالمنهجية والطريقة المتبعة في التفسير الموضوعي ، ويظهر ذلك من خلال تقسيمه للسور على فصول ، وقام بتسمية كل فصل من هذه الفصول تبعا للموضوع الذي تطرقت إليه الآيات ، وذكر تحت كل فصل من هذه الفصول عدة عناوين فرعية ثانوية ، يجمعها عنوان الفصل .

ثالثا : يعد هذا التفسير من التفاسير المهمة المعاصرة ، والذي أظهر لنا مفسر ذو علمية كبيرة ، وعقلية لا يستهان بها .

رابعا : يعد هذا التفسير من التفاسير التي نحتاج إليها في واقعنا الذي نعيشه ، كونه يتكلم بلغة الواقع ، وهذا النوع يفيد كثيرا حياة المجتمع لأنه يساهم مساهمة فعلية في حل المشكلات التي تطرأ على الأمة .

خامسا: إن هذا التفسير يخرج القارئ من التعقيدات نهائيا ، كونه لا يتطرق إلى المسائل المعقدة والمبهمة التي سكت عنها القرآن الكريم ، تورعا منه رحمه الله تعالى وخوفا من الدخول بمسائل فيها إشكاليات.

وخلاصة القول : إن القارئ لهذا التفسير يظهر له القيمة العلمية الرصينة ، والتي تضعه في مصاف التفاسير المعتبرة ، ويظهر له أيضا أن المؤلف يمتلك موهبة فائقة وذهن متفتح ، وقد شهد له العلماء الذين درس على أيديهم بهذه الموهبة الفذة .

المطلب الثالث

مصادر تفسيره

اعتمد رحمه الله تعالى في تفسيره على مصادر عدة تنوعت اختصاصاتها، فاعتمد على الكتب التفسيرية المعتبرة ، وكذلك على كتب الحديث ، وكتب السيرة النبوية، وعلوم القران ، وكتب متنوعة أخرى، وسنذكر في هذا المطلب عناوين بعض الكتب والمصادر والمراجع التي اعتمدها في تفسيره هذا ومنها على سبيل المثال..

أولا : كتب التفسير

ومنها على سبيل المثال..

١- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم المعروف ب(تفسير أبي السعود) .

٢- أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف ب(تفسير النسفي) .

٣- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي .

٤- تفسير القران العظيم المعروف ب(تفسير ابن كثير) .

٥- الجامع لأحكام القران المعروف ب(تفسير القرطبي) .

٦- جامع البيان في تأويل القرآن المعروف ب(تفسير الطبري) .

٧- روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني المعروف بـ(تفسير الآلوسي) .

٨- زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي .

٩- غرائب القرآن ورغائب الفرقان المعروف ب(تفسير النيسابوري) .

١٠-في ضلال القرآن لسيد قطب .

١١-الكشاف عن حقائق وغوامض التنزيل المعروف ب(تفسير الكشاف).

١٢-لباب التأويل في معاني التنزيل المعروف ب(تفسير الخازن) .

١٣-المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز المعروف ب(تفسير ابن عطية).

١٤-مدارك التنزيل وحقائق التأويل المعروف ب(تفسير النسفي) .

١٥-مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير المعروف ب(تفسير الرازي) .

ثانيا : كتب الحديث النبوي الشريف

ومنها على سبيل المثال ....

١- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه المعروف بـ(صحيح البخاري).

٢- سنن الترمذي للإمام الترمذي .

٣- المجتبى من السنن المعروف ب(سنن النسائي) .

٤- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ المعروف ب(صحيح مسلم).

ثالثا : كتب علوم القرآن والسيرة النبوية المشرفة وكتب أخرى

ومنها على سبيل المثال ....

١- الأنساب والأولاد للشيخ عبد الحميد طهماز .

٢- الحلال والحرام في سورة المائدة للشيخ عبد الحميد طهماز .

٣- خلق الإنسان بين الطب والقران لمحمد علي البار .

٤- السيرة النبوية لابن هشام .

٥- مباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح .

المبحث الثالث

سورة البقرة إنموذجا

قال رحمه الله تعالى في بداية سورة البقرة: ((الإسلام لله تعالى ، بمعنى الاستسلام الكامل لأحكامه القدرية والشرعية، والانقياد والإذعان لها ، هذا هو الموضوع الأساسي لسورة البقرة والذي دارت آياتها كلها في فلكه))[١] .

ثم قام بتقسيم سورة البقرة على تسعة فصول متوالية وفق تسلسل آيات السورة الكريمة ووفق الموضوعات التي تضمنتها السورة وكما يأتي ..

الفصل الأول : القرآن والإنسان .

الفصل الثاني : التوراة وبنو إسرائيل .

الفصل الثالث : بنو إسرائيل : من السلف إلى الخلف .

الفصل الرابع : التوحيد وإبراهيم والبيت الحرام .

الفصل الخامس : العقيدة والشريعة .

الفصل السادس : إسلام واستعلام ((أسئلة الصحابة)) .

الفصل السابع : الأسرة وتشريع الطلاق .

الفصل الثامن : أخبار وقصص من التاريخ .

الفصل التاسع : مبادئ أساسية في الاقتصاد الإسلامي .

وذكر في كل فصل من هذه الفصول عدة عناوين فرعية ثانوية ، يجمعها عنوان الفصل وسنذكر في هذا المبحث بعضا من هذه العناوين مع بعض الأمثلة لكل فصل من هذه الفصول، والتي تبين أنه رحمه الله تعالى قد التزم بمنهج التفسير الموضوعي وكما يأتي ..

الفصل الأول: القرآن والإنسان

ومن الأمثلة على ذلك ....

أولا : الكتاب الكامل

١- الإسلام لله تعالى في سورة البقرة / ٢١ .

قال الله تبارك وتعالى : ((**ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ**))[١] . قال رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية: أي : القرآن الكريم ، وهو الكتاب الكامل الحائز على كل كمال، فهو وحده المستحق أن يوصف بالكتاب بالنسبة لما عداه ، كما يقال : هو الرجل الكامل في الرجولية ، الجامع لما يكون في الرجال من الخصال الحسنة، وعليه قول من قال : هم القوم كل القوم يا أم خالد[٢] . وأشير ب (ذلك) للدلالة على علو شأنه وكونه في الغاية القصوى من الفضل والشرف[٣]. (هدى للمتقين) أي دلالة للمتقين، يدلهم على العقيدة والشريعة التي كلفهم الله تعالى بها [٤].

((ولاحظ الإمام الرازي التناسق بين الجمل الأربعة: الم ، ذلك الكتاب، لا ريب فيه، هدى للمتقين ، فقال : نبه أولا على أنه الكلام المتحدى به ، ثم أشير إليه بأنه الكتاب المنعوت بغاية الكمال ، فكان تقريرا لجهة التحدي ، ثم نفى عنه أن يتشبث به طرف من الريب ، فكان شهادة بكماله ، ثم أخبر عنه بأنه هدى للمتقين ، تقرر بذلك كونه يقينا لا يحوم الشك حوله))[٥].

ثانيا : الإيمان بيوم القيامة

قال الله تبارك وتعالى: ((**وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ**))[٦]. قال رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية : أي : ويصدقون تصديقا كاملا لا شك فيه بالحياة الآخرة في يوم القيامة ، وبما فيها من إحياء للأموات ، وبعثهم من قبورهم ، وحشرهم وحسابهم ، ودخولهم إما إلى الجنة وإما إلى النار، واليقين: العلم المسبوق بالشك ، ولذلك لا يوصف به الله تبارك وتعالى ، والإيمان بالآخرة مظهر من عملي للإيمان بالغيب، لأن الله تبارك وتعالى أخبر عنها ، فالإيمان بها مبني على خبر الصادق ، وهو من أعظم قضايا الإيمان لاتصاله اتصالا وثيقا بالإيمان بالله تبارك وتعالى ووحدانيته وكماله جل وعلا ، ولا يعرف الإنسان قيمة وجوده ، وحكمة الله جل وعلا من خلقه إلا إذا آمن بمسؤوليته أمام خالقه جل وعلا يوم القيامة[٧].

١- سورة البقرة آية / ٢ .

٢- ينظر : تفسير أبي السعود ١/ ٢٤ .

٣- ينظر : الإسلام لله تعالى في سورة البقرة / ٢٨ .

٤- ينظر : جامع البيان للطبري ١/ ٢٣٠ .

٥- التفسير الكبير للرازي ٢/ ٢٥ .

٦- سورة البقرة آية / ٤٠ .

٧- ينظر : في ضلال القرآن ١/ ٤١ .

ثالثا : الإنسان والأرض والسماء

قال الله تبارك وتعالى : ((**الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاء بِنَاء وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ**))[1] . قال رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية : أي : الذي جعل لكم الأرض كالفراش تتقلبون عليها كما تتقلبون وتنامون على الفراش ، والمراد أنه سبحانه جعلها ملائمة لحياتكم ، ومسخرة ومذللة لمعيشتكم عليها ، وجعل السماء كالسقف للأرض ، أو كالقبة المضروبة فوقها ، وأنزل المطر الذي هو ضروري لحياة الإنسان ، منه شرابه وغذاؤه[2] .

ودلت هذه الآية أن على الإنسان أن ينظر ويفكر، ويبني إيمانه على الدليل والبرهان ، لا على مجرد التقليد الأعمى الذي لا نظر معه ولا استدلال[3].

الفصل الثاني : التوراة وبنو إسرائيل

ومن الأمثلة على ذلك..

أولا : يا بني إسرائيل

قال الله تبارك وتعالى : ((**يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ**)) [4]. قال رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية : أي : يا أبناء يعقوب، وهو نبي الله يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام، وإسرائيل لقبه، ومعناه في لغة اليهود صفوة الله أو عبد الله ف (اسرا) هو العبد، و(ائيل) هو الله[5]. وقد أمرهم بطاعته وامتثال أوامره ، والخوف منه والحذر من عقابه وعذابه[6].

((وهكذا جمع الله تبارك وتعالى في آية الخطاب الأول لبني إسرائيل الوعد والوعيد ، وبين لهم وجوب الشكر والوفاء بالعهد وألا يخافوا أحدا غيره سبحانه وتعالى ، وأن يكونوا على حذر من غضبه وانتقامه)) [7].

١- سورة البقرة آية / ٢٢ .

٢- ينظر : تفسير القرطبي ١/ ٢٢٩ .

٣- ينظر : الإسلام لله تعالى في سورة البقرة / ٤٨ .

٤- سورة البقرة آية / ٤٠ .

٥- ينظر : تفسير النسفي ١/ ١٢٢ ، الإسلام لله تعالى في سورة البقرة / ٦٩.

٦- ينظر : الإسلام لله تعالى في سورة البقرة / ٧٠ .

٧- المصدر نفسه .

ثانيا : الأمر بالمعروف وفعله

قال الله تبارك وتعالى: ((**وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ وَارْكَعُواْ مَعَ الرَّاكِعِينَ۞ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ**))[1]. قال رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية : أي : صلوا مع المصلين من أمة محمد ﷺ، فالإسلام دين المساواة، والناس أمام شرع الله تعالى سواء، لا امتياز لأحد، كما يزعم اليهود لأنفسهم[2].

وأريد بالأمر بالركوع الصلاة كلها ، إذ يطلق الجزء ويراد به الكل ، وقيل : إنما خص الركوع بالذكر لأن بني إسرائيل لم يكن في صلاتهم ركوع[3].

كما وبخهم لأنهم يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وعندهم التوراة وعد أن فعلهم هذا قبح وشناعة[4].

فالآية تذمهم على ترك البر لا على الأمر به ، فان الأمر بالمعروف معروف، وهو واجب على العالم ، ولكن الواجب والأولى بالعالم أن يفعله مع من أمرهم، ولا يتخلف عنهم ، كما قال شعيب عليه السلام : ((**قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىَ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقاً حَسَناً وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ**)) [5]، فكل من الأمر بالمعروف وفعله واجب ، لا يسقط أحدهما بترك الآخر ، على أصح قولي العلماء من الخلف والسلف[6] .

ثالثا : عبادة العجل الذهبي

قال الله تبارك وتعالى : ((**وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ**)) [7] . قال رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية: أي: اذكروا إذ وعدنا موسى بعد تمام أربعين ليلة ، ليأتي إلى موضع المناجاة عند جبل الطور، وقد وعده الله تعالى أولا ثلاثين يوما يهيئ نفسه في أثنائها لمناجاة الله تبارك وتعالى، ثم أمره أن يزيدها عشرا، قال تعالى:

١- سورة البقرة آية / ٤٣ _٤٤ .

٢- ينظر : الإسلام لله تعالى في سورة البقرة / ٧١ .

٣- ينظر : تفسير القرطبي ١/ ٣٤٥ ، الإسلام لله تعالى في سورة البقرة / ٧١ .

٤- ينظر : الإسلام لله تعالى في سورة البقرة / ٧٢ .

٥- سورة هود آية / ٨٨ .

٦- ينظر : تفسير ابن كثير ١/ ٢٤٧ .

٧- سورة البقرة آية / ٥١ .

((وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلاَثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلاَ تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ))[1] .

وبعد ذلك اتخذتم العجل الذهبي إلآهاً عبدتموه من دون الله تعالى في غياب موسى.

وعبادة بني إسرائيل للعجل من أقبح وأشنع جرائمهم ومواقف عنادهم وجحودهم ، ولهذا تكرر ذكر الآيات لها في عدة مواضع[2].

وقد وصفهم الله تعالى بالظالمين لأنفسهم بعبادة غير الله تعالى ، فالشرك بالله تعالى أعظم أنواع الظلم، فبعد أن نجاهم الله تعالى من ظلم فرعون، وأراهم مصرعه بأم أعينهم، أعرضوا عن عبادته تعالى وشكره ، وعبدوا عجلا مصنوعا من ذهب ، في غياب نبيهم موسى (عليه السلام)، ومع ذلك فتح الله تعالى لهم باب التوبة والمغفرة[3].

الفصل الثالث : بنو إسرائيل من السلف إلى الخلف

ومن الأمثلة على ذلك ....

أولا : تحريف الكتاب

قال الله تبارك وتعالى : **((أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ))**[4]. قال رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية: أي : تطمعون بإسلامهم واستجابتهم لدعوتكم ، والاستفهام لاستبعاد إيمان اليهود واستجابتهم للدعوة الإسلامية ، ويتضمن أيضا تحذيرا للمسلمين من كيدهم ومكرهم ،وقد كان فريقا منهم يسمعون كلام الله تعالى المنزل عليهم في التوراة ، ويحرفونه ويبدلونه كما فعلوا في صفات النبي ﷺ الموجودة عندهم، وكما حرفوا في أحكام الله تعالى وأبدلوها بأحكام تتناسب مع مصالحهم، ولم يكن هذا التحريف بسبب التباس واشتباه ، بل عن سابق علم وقصد وإصرار كما بينت هذه الآية الكريمة [5]. وقد دلت هذه الآية على أن العالم بالحق المعاند فيه بعيد عن الرشد[6].

ثانيا : حرصهم على الحياة

١- سورة الأعراف آية / ١٤٢ .

٢- ينظر : الإسلام لله تعالى في سورة البقرة / ٧٧ .

٣- المصدر نفسه / ٧٨ .

٤- سورة البقرة آية / ٧٥ .

٥- ينظر : الإسلام لله تعالى في سورة البقرة / ٩٧ .

٦- المصدر نفسه .

قال الله تبارك وتعالى : ((**قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآخِرَةُ عِندَ اللّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**)) [١]. قال رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية: أي: سالمة لكم وحدكم، والمراد من الدار الآخرة الجنة ، فاليهود يزعمون أن لهم مكانة خاصة عند الله تعالى ، فهم أبناء الله وأحباؤه، وأن الجنة أعدها الله تعالى لهم وحدهم ، ولن يدخلهم غيرهم ، وان كان الأمر كذلك: (فتمنوا الموت) أي: اطلبوا الموت واسألوه، لو كنتم صادقين فيما تدعون وتزعمون[٢].

ثالثا : عداوتهم للملائكة

قال الله تبارك وتعالى : ((**قُلْ مَن كَانَ عَدُوّاً لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللّهِ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ**))[٣]. قال رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية: وامتد حقد اليهود وحسدهم إلى أمين الوحي جبريل عليه السلام، لأنه نزل بالرسالة على النبي ﷺ، فعداوة اليهود لجبريل عليه السلام، هي عداوة في الحقيقة لله تعالى ولجميع الملائكة، لأنهم لا يتحركون إلا بأمره سبحانه وتعالى.

قال الله تعالى : ((**وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّاً**)) [٤].

الفصل الرابع : التوحيد وإبراهيم والبيت الحرام

ومن الأمثلة على ذلك ....

أولا : إبراهيم ومقام الإمامة

قال الله تبارك وتعالى : ((**وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**))[٥]. قال رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية الآية : أي اذكر يا محمد ﷺ ، لهؤلاء الجاحدين المعاندين، إسلام إبراهيم لله تعالى ، وانقياده لأمره ، وخضوعه لحكمه ، عندما كلفه ببعض التكاليف . فالابتلاء : الاختبار والامتحان ، والكلمات : جمع كلمة ، وهي اللفظ الموضوع لمعنى مفرد ، لكنها قد تطلق على المعاني التي تحتها[٦].

١- سورة البقرة آية / ٩٤ .

٢- ينظر : الإسلام لله تعالى في سورة البقرة / ١١١ .

٣- سورة البقرة آية / ٩٧.

٤- سورة مريم آية / ٦٤ ، وينظر : الإسلام لله تعالى في سورة البقرة / ١١٣ .

٥- سورة البقرة آية / ١٢٤ .

٦- ينظر : روح البيان ١/ ٢٢١ وما بعدها .

وتدل كلمة (ابْتَلَى) على انه سبحانه وتعالى كلف إبراهيم عليه السلام بتكاليف شاقة وصعبة، فقام بهن حق القيام، وأداهن أحسن أداء ، من غير تفريط وتوان، حتى شهد له الله تبارك وتعالى بذلك بقوله (فَأَتَمَّهُنَّ)[1].

وغير ذلك من الابتلاءات والتكاليف التي كلفه الله تبارك وتعالى بها ، فبادر عليه السلام إلى القيام بها، بخضوع واستسلام كاملين لله جل وعلا، ولهذا أكرمه الله تبارك وتعالى بمقام الإمامة بين الناس[2] .

ثانيا : البيت الحرام

قال الله تبارك وتعالى : ((**وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ**))[3] .

قال رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية: أي:الكعبة المشرفة، قال تعالى : ((**جَعَلَ اللّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَاماً لِّلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلاَئِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**))[4].

ويدخل فيه الحرم ، فان الله وصفه بكونه آمنا ، وهذه صفة جميع الحرم[5].

وقد جعل الله البيت الحرام مرجعا يرجع إليه الناس فكلما تفرقوا عنه اشتاقوا إليه ، وهوت إليه قلوبهم ، ببركة دعوة إبراهيم عليه السلام : ((**رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ**))[6].

أو مجمعا للناس ، يجتمعون فيه كل عام لأداء مناسك الحج ، أو معاذا وملجأ ، إذ جعله الله تبارك وتعالى موضع أمن أيضاً[7].

وقد صلى النبي ﷺ ، عند المقام ، عندما حج حجة الوداع ، ففي حديث جابر ابن عبد الله رضي الله عنه الذي وصف حجة النبي ﷺ : ((حتى إذا أتينا البيت معه استلم الركن فرمل ثلاثا، ومشى

١- ينظر : الإسلام لله تعالى في سورة البقرة / ١٣٧ .

٢- المصدر نفسه .

٣- سورة البقرة آية / ١٢٥ .

٤- سورة المائدة آية / ٩٧ .

٥- ينظر : تفسير الخازن ١/ ٧٧ .

٦- سورة إبراهيم آية / ٣٧ .

٧- ينظر : الإسلام لله تعالى في سورة البقرة / ١٤٠ .

أربعا، ثم نفذ إلى مقام إبراهيم ﷺ فقرأ: **(وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى)** فجعل المقام بينه وبين البيت...))[1] .

وتدل الآية على أن الله عز وجل قد أمر إبراهيم وولده إسماعيل (عليهما السلام) ، بتطهير الكعبة المشرفة من الشرك والأوثان، للذين يعبدون الله تعالى وحده بالطواف حول البيت والمقيمين وكل راكع وساجد ، وأضاف سبحانه وتعالى البيت إلى نفسه إضافة تشريف وتفضيل [2].

ثالثا : الأمة المسلمة

قال الله تبارك وتعالى : ((رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ))[3] قال رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية: أي: اجعلنا مستسلمين لأمرك، خاضعين لطاعتك، لا نشرك معك في الطاعة أحدا سواك ، ولا في العبادة غيرك[4] .

واجعل من ذريتنا أمة مستسلمة لأمرك ، خاضعة لطاعتك وشرعك ، ولعلهما اقتصرا على البعض ولم يعمما أدبا مع الله تبارك وتعالى ، الذي سبق أن قال لإبراهيم : ((لا ينال عهدي الظالمين))[5]. وعلمنا عبادتنا التي نتقرب بها إليك عند هذا البيت ، فالعبادة لا تكون بالرأي والاجتهاد ، والمراد بها أعمال الحج والعمرة ، كالإحرام والطواف والسعي.. [6] .

وقد سألوه التوبة من التقصير في طاعته وعبادته[7].

الفصل الخامس : العقيدة والشريعة

ومن الأمثلة على ذلك ....

أولا : الإلهية والعبودية

قال الله تبارك وتعالى : **((وَإِلَـهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ))**[8] . قال رحمه رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية : أي : معبدوكم معبود واحد ، لا نظير له ولا شبيه في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله ، ولم تصرح الآية باسمه سبحانه وتعالى ، وإنما اكتفت بصفته

١- صحيح مسلم _ باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم ٢/ ٨٨٦ ، رقم الحديث (١٢١٨).

٢- ينظر : الإسلام لله تعالى في سورة البقرة / ١٤١ .

٣- سورة البقرة آية / ١٢٨ .

٤- ينظر : جامع البيان للطبري ٣/ ٧٣_٧٤ .

٥- سورة البقرة آية / ١٢٤ .

٦- ينظر : الإسلام لله تعالى في سورة البقرة / ١٤٥ .

٧- المصدر نفسه .

٨- سورة البقرة / ١٦٣ .

التي تبين علاقة المخاطبين به جل جلاله ، فصفته تبارك وتعالى أنه المستحق للعبادة والطاعة وحده ، وأنتم أيها المخاطبون عبيد له وحده جل جلاله ، فهو إذا معبودكم وحده ، الذي لا يستحق أن يسمى إلها إلا هو جل جلاله ، وهو الرحمن الرحيم ، وهما اسمان من أسمائه تعالى الحسنى، يدلان على فضله وإحسانه ، وعلى أنه وحده المستحق للعبادة ، فانه لما كان مولى النعم كلها ، أصولها وفروعها ، وما سواه إما نعمة أو منعم عليه ، لم يستحق العبادة أحد غيره[١] .

ثانيا : العبادة والشكر

قال الله تبارك وتعالى: **((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُواْ لِلّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ))**[٢]. قال رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية: أي: تحروا عن الطعام الطيب النافع الذي أحله الله تبارك وتعالى لكم ، فكلوا منه .

وفي الحديث النبوي الشريف عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا ، وان الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال: **((يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ))**[٣]، ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء: يا رب يا رب ، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك؟))[٤].

إن كنتم حقا تقرون بأنه إلهكم ومعبودكم ولا معبود لكم سواه ، ولا تتم عبادتكم له إلا بشكره والاعتراف بفضله ، وفي الحديث النبوي الشريف عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها، أو يشرب الشربة فيحمده عليها))[٥] .

ومن خلال هذه الآية الكريمة فإننا نجد أن هناك ترابطا بين العقيدة والشريعة ، وهي الاتجاه لمطالبة المؤمنين بان يلتزموا بأحكام دين الله تبار ك وتعالى وشريعته ، في مطاعمهم ومشاربهم وسائر شؤون حياتهم ، واعتبار ذلك من صميم العقيدة الصحيحة[٦] .

ثالثا : تحريم أكل المال بالباطل

١- ينظر : تفسير البيضاوي ١/ ١١٦ ، الإسلام لله تعالى في سورة البقرة / ١٧٥ .

٢- سورة البقرة / ١٧٢ .

٣- سورة المؤمنون / ٥١ .

٤- صحيح مسلم _ باب قبول الصدقة من الكسب الحلال ٢/ ٧٠٣ ، رقم الحديث(١٠١٥).

٥- صحيح مسلم _ باب استحباب حمد الله ٤/ ٢٠٩٥ ، رقم الحديث (٢٧٣٤) .

٦- ينظر : الإسلام لله تعالى في سورة البقرة / ١٨٣ .

قال الله تبارك وتعالى: ((**وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقاً مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ**))[1]. قال رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية: أي: لا يأكل بعضكم مال بعض بالباطل، كالغصب والسرقة والربا والقمار ، إلى غير ذلك من وجوه الاكتساب غير المشروع في الإسلام ، وعبر عن أخذ المال بالأكل لأنه المقصود الأعظم ، وقد وقع التعارف بين الناس على هذا المراد ، فيقولون : فلان يأكل أموال الناس ، بمعنى : يأخذها بغير حلها ، ولا تصانعوا بأموالكم الحكام وترشوهم لتأكلوا أموال الناس بالباطل ، عن طريق شهادة الزور واليمين الكاذبة والرشوة ، وانتم تعلمون أن هذه الأموال محرمة عليكم ، فحكم الحاكم لا يحل حراما ولا يحرم حلالا في الشريعة الإسلامية . [2] .

عن النبي ﷺ أنه قال : ((إنما أنا بشر ، وانه يأتيني الخصم ، فلعل بعضكم أن يكون ابلغ من بعض ، فأحسب أنه صادق ، فأقضي له بذلك ، فمن قضيت له بحق مسلم فإنما هي قطعة من النار، فليأخذها أو ليتركها))[3].

ومن خلال هذه الآية وغيرها يتبين لنا ، أن من معالم دين الله تبارك وتعالى وأحكام شريعته حق التملك الفردي للمال ، وتقرير حرمة هذا المال ، وتحريم أكله بالباطل من قبل الآخرين واعتبار ذلك من صميم العقيدة الصحيحة[4].

الفصل السادس : إسلام واستعلام (أسئلة الصحابة)

ومن الأمثلة على ذلك..

أولا : إسلام وسلام

قال الله تبارك وتعالى: ((**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ وَاللّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ**)) [5] . قال رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية: أي: يبيع نفسه وكل ما يملك ويبذلها ، طلبا للوصول إلى رضوان الله تبارك وتعالى ، أو هم الذين قاموا يأمرون الناس بالمعروف وينهون عن المنكر، ويعرضون أنفسهم لغضب الطغاة المستبدين ، ويؤيد هذا القول ما روي عن النبي ﷺ أنه قال لما سئل: ((أي الجهاد أفضل؟ قال: كلمة حق عند سلطان جائر))[6].

١- سورة البقرة آية / ١٨٨ .

٢- ينظر : الإسلام لله تعالى في سورة البقرة / ٢٠٤ .

٣- صحيح البخاري _ باب من خاصم وهو في باطل ٣/ ١٣١ ، رقم التحديث (٢٤٥٨).

٤- ينظر : الإسلام لله تعالى في سورة البقرة / ٢٠٥ .

٥- سورة البقرة / ٢٠٧ .

٦- سنن النسائي _ فضل من تكلم بالحق عند إمام جائر ٧/ ١٦١ ، رقم الحديث(٢٤٠٩)، وقد صححه الألباني .

وقد نزلت هذه الآية بحق صهيب الرومي على أكثر الأقوال ، ولا مانع من حمل الآية على العموم ، وان كان سبب نزولها خاصا ، لأن معناها يمكن أن ينحسب على كل مسلم مستسلم لله تعالى ، مذعن لأحكام دينه وشرعه ، ومن رأفته سبحانه وتعالى بعباده أنه أرشدهم إلى دينه القويم وشرعه المستقيم[١] .

ثانيا : التشريع لله تعالى وحده

قال الله تبارك وتعالى : ((**يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ**))[٢] ، قال رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية: أي: أنفقوا أموالكم في هذه الوجوه، وابدؤوا بالأقرب فالأقرب ، حتى تشمل نفقاتكم جميع المحتاجين في المجتمع ، وفي الحديث النبوي الشريف أن رسول الله ﷺ قال: ((ابدأ بنفسك فتصدق عليها، فان فضل شيء فلأهلك ، فان فضل عن أهلك شيء فلذي قرابتك ، فان فضل عن ذي قرابتك شيء فهكذا وهكذا))[٣].

ثم حثتهم الآية على الإنفاق في وجوه الخير من دون قيد واحد في هذه الآية ، وهذا يدل على أنهم كانوا وقتئذ يمرون بمرحلة عصيبة ، يحتاجون فيها إلى البذل الكثير ، ويلاحظ أن الجواب أتى غير مطابق للسؤال ، ولعل سبب ذلك أنه تعالى ترك بيان مقادير النفقات الواجبة في أموالهم للنبي ﷺ ، فهي من التفاصيل التي اهتمت السنة ببيانها ، والقران الكريم اقتصر على بيان أسس الشريعة الإسلامية الكبرى ، ولم يفصل الفروع إلا في بعض القضايا المحدودة ، كنظام الأسرة وعلاقة أفرادها ببعضهم[٤].

وقد أفاد العدول عن جوابهم على سؤالهم بيان أمر هام أيضا ، وهو أن تشريع الأحكام منوط بمشيئة الله تبارك وتعالى وحكمته ، فهو سبحانه يعلم متى يشرع ، وكيف يشرع ، وما يشرع ، لأنه يعلم ما يصلح لعباده أكثر مما يعلمون ، فهو يحكم ما يريد ، وهو يعلم وأنتم لا تعلمون ، فشأنه تبارك وتعالى مع عباده فيما يشرع لهم ، وله المثل الأعلى ، كشأن الطبيب مع المريض ، فالطبيب يصف الدواء المناسب ، دون أن ينظر إلى رأي المريض ، وميله للدواء أو كراهته له ، واستحالة له أو استبطائه[٥].

١- ينظر : روح المعاني ١/ ٤٩٢ .

٢- سورة البقرة آية / ٢١٥ .

٣- صحيح مسلم _ باب الابتداء في النفقة ٢/ ٦٩٢ ، رقتم الحديث(٩٩٧) .

٤- ينظر : الإسلام لله تعالى في سورة البقرة / ٢٣٦ .

٥- المصدر نفسه .

ثالثا : السؤال عن الصدقة

قال الله تبارك وتعالى : ((**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبيِّنُ اللّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ**))[1]، قال رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية: أي: أنفقوا العفو، وهو ما سهل وتيسر وفضل ، ولم يشق على القلب إخراجه، والمعنى: أنفقوا ما فضل عن حوائجكم ، ولم تؤذوا فيه أنفسكم فتكونوا عالة[2].

ويؤيده الحديث النبوي الشريف عن حكيم بن حزام رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((أفضل الصدقة_أو خير الصدقة_عن ظهر غنى، واليد العليا خير من اليد السفلى، وابدأ بمن تعول))[3].

وقد ختم الله عز وجل هذه الآية بالحث على التفكر في أمور الدنيا والآخرة ، والحث على عمل كل شيء فيه صلاح وإصلاح المجتمع ، ويبدوا أن السؤال عن مقدار النفقة قد تكرر من بعض الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، وجاء الجواب في هذه الآية يبين لهم ما ينفقون من أموالهم دون تحديد أيضا[4] .

الفصل السابع : الأسرة وتشريع الطلاق

ومن الأمثلة على ذلك..

أولا : الايلاء

قال الله تبارك وتعالى : ((**لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَآؤُوا فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۞ وَإِنْ عَزَمُواْ الطَّلاَقَ فَإِنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**))[5] . قال رحمه الله تعالى في تفسير هاتين الآيتين : أي: يحلفون على ألا يجامعوهن ، فعليهن انتظار مدة أربعة أشهر ، وقد رفع الإسلام بهذا عن المرأة ظلما كبيرا كانت تعاني منه في الجاهلية ، قال ابن عباس ﷺ : (كان ايلاء الجاهلية السنة والسنتين وأكثر من ذلك ، يقصدون بذلك إيذاء المرأة عند المساءة ، فوقت لهم أربعة أشهر)[6]، وان عادوا في أثناء ذلك واتصلوا بزوجاتهم ، ومعاشرتهن المعاشرة الزوجية الكريمة ، وكفروا عن أيمانهم فان الله تعالى يغفر لهم إساءتهم، إلى زوجاتهم ، فالآية

١- سورة البقرة آية / ٢١٩ .

٢- ينظر : تفسير القرطبي ٣/ ٦١ .

٣- صحيح مسلم _ باب استحباب إطالة الغرة ١/ ٢١٨ ، رقم الحديث (٢٤٩) .

٤- ينظر : الإسلام لله تعالى في سورة البقرة / ٢٤١ .

٥- سورة البقرة آية / ٢٢٦ _ ٢٢٧ .

٦- ينظر : تفسير القرطبي ٣/ ١٠٣ .

تحض الأزواج على حسن معاشرة الزوجات ، وعلى رجوعهم عن قصد الإساءة إليهن والإضرار بهن وقد دعا إلى هذا الأمر لما فيه مصلحة للأسرة المسلمة و الحفاظ على كيانها[١].

وان عزموا الطلاق بترك العودة والإصرار على هجر فراش الزوجية، حتى مضت مدة أربعة أشهر، بانت منه زوجته بطلقة واحدة ، أي : يعد حكما مطلقا زوجته طلقة واحدة[٢].

ثانيا : التحذير من الإضرار والعدوان

قال الله تبارك وتعالى : ((**وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاء فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلاَ تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَاراً لِّتَعْتَدُواْ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلاَ تَتَّخِذُوَاْ آيَاتِ اللّهِ هُزُواً وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**))[٣]، قال رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية: أي: قاربن بعد إيقاع الطلاق من نهاية عدته، فأمسكوهن بالمراجعة المشروعة، أو اتركوهن حتى تنقضي عدتهن، ويملكن أمرهن، وهو تأكيد لقوله تبارك وتعالى: ((**الطَّلاَقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُواْ مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئاً إِلاَّ أَن يَخَافَا أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللّهِ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللّهِ فَلاَ تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**)) [٤]، وهذا يدل على اهتمام الشريعة الإسلامية بدفع الظلم والضرر عن المطلقات، ولا تراجعوهن بقصد الإضرار بهن، فتتجاوزوا حدود شرع الله تبارك وتعالى، وتعتدوا عليهن وتأخذوا أموالهن، ومن يقم بذلك سوف يعرض نفسه لغضب الله تبارك وتعالى وعذابه، فاحذروا ذلك، وقفوا عند الحدود المشروعة لكم ، وتمسكوا بأحكام شريعته تعالى بجد وقوة، ارعوها حق رعايتها، وإلا كنتم لاعبين هازئين بها، فانه تبارك وتعالى شرع هذه الأحكام لصلاحكم وسعادتكم، وهي من نعمه الكبيرة والكثيرة عليكم ، والتزموا بدينه وتطبيق شريعته، وان الله لا يخفى عليه شيء من أمركم فاحذروا مخالفة أمره، ومجاوزة شرعه[٥].

ثالثا : الرجوع إلى الحياة الزوجية

قال الله تبارك وتعالى : ((**وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاء فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْاْ بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكُمْ**

١- ينظر: الإسلام لله تعالى في سورة البقرة / ٢٣٥ .

٢- المصدر نفسه .

٣- سورة البقرة آية / ٢٣١ .

٤- سورة البقرة آية / ٢٢٩ .

٥- ينظر : الإسلام لله تعالى في سورة البقرة / ٢٦١ .

أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ))[1] ، قال رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية: أي: انقضت عدة طلاقهن، فلا تمنعوهن أيها الأولياء أن يرجعن إلى أزواجهن بعقد جديد ، وأصل العضل : الحبس والتضييق، ومنه عضلت الدجاجة، إذا نشبت بيضتها ولم تخرج[2]، وإذا تم الاتفاق بين الرجل والمرأة على وفق ما شرع الله تعالى من أحكام ، وهذه الأحكام التي ذكرها الله تبارك وتعالى في الآية ، يتعظ بها المؤمن دون غيره، وهذه الأحكام الشرعية تطهركم من أدناس المعاصي والآثام، وتطهر قلوبكم من الأحقاد والأضغان، فتطبيقها ينفي عن المجتمع المعاصي والفواحش، وينفي عن النفوس والقلوب الضغائن والأحقاد[3].

ومن هنا فالشريعة الإسلامية تحرص على إتاحة الفرصة للزوجين المنفصلين بالطلاق لإعادة بناء الأسرة المسلمة وإصلاح ما تهدم منها، وعلى أولياء المرأة المطلقة أن ييسروا عملية رجوع المرأة إلى حياتها الزوجية السابقة، ولا يجوز لهم منعها من ذلك ، وهذا ما بينته هذه الآية[4].

الفصل الثامن : أخبار وقصص التأريخ

ومن الأمثلة على ذلك..

أولا : قصة طالوت وداود وجالوت

قال الله تبارك وتعالى: **((أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُواْ لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكاً نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلاَّ تُقَاتِلُواْ قَالُواْ وَمَا لَنَا أَلاَّ نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَآئِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْاْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ{٢٤٦} وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً قَالُوَاْ أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ))**[5]، قال رحمه رحمه الله تعالى في تفسير هاتين الآيتين : أي: الأشراف والوجهاء الذين يملئون العيون والنفوس بمظهرهم وشارتهم ، من بني إسرائيل وهم أبطال القصة ، فهم من بني إسرائيل الذين عاشوا بعد عهد سيدنا موسى عليه السلام ، إذ قالوا لنبيهم لهم عين لنا ملكا ينظم صفوفنا ، ويقودنا إلى القتال والجهاد في سبيل الله ، ومن المعلوم أن النبوة لم تنقطع عن بني إسرائيل حتى زمن سيدنا

١- سورة البقرة آية / ٢٣٢ .

٢- ينظر : روح المعاني ١/ ٥٣٨ .

٣- ينظر الإسلام لله تعالى في سورة البقرة / ٢٦٢ .

٤- المصدر نفسه .

٥- سورة البقرة آية / ٢٤٦ _٢٤٧ .

عيسى عليه السلام ، فقال لهم نبيهم لعلكم إن فرض عليكم القتال مع ذلك الملك أن تتقاعسوا وتجبنوا عن القتال ، وهذا يدل على أن نبيهم كان يعلم حقيقتهم ، فالجبن والتخاذل يغلب عليهم بسبب بعدهم عن طاعة الله تبارك وتعالى وهجرهم لشريعته، كما يدل على أن الجهاد لا يجب بدون حاكم يتولى أمر المسلمين ويقودهم إلى الجهاد ، وأجيبوا إلى ما طلبوا ، وعين لهم نبيهم بوحي من الله تبارك وتعالى ملكا عليهم ، أمرهم بالقتال وقادهم إليه ، فأعرضوا عن تنفيذ أمره سبحانه وتعالى، إلا طائفة قليلة منهم ، وقد وصفهم الله تبارك وتعالى بالظالمين لأنهم أعرضوا عن تنفيذ أوامره[1] .

وقد بينت هاتين الآيتين أن بني إسرائيل لم يرضوا بحكم الله تبارك وتعالى ، واعترضوا على طالوت لأنه كان من سبط ما كانت ملوك بني إسرائيل منه ، إذ كان الملك بينهم بالتوارث، وكان أيضا فقيرا مقلا ، وللمال في المجتمع الإسرائيلي المكانة الكبرى، ولهذا أكدوا اعتراضهم بأنه لم يكن على سعة من المال ، فاضطر نبيهم أن يذكرهم بأن اعتراضهم لا قيمة له عند الله تبارك وتعالى ، وأن الشروط الشرعية للملك متوفرة فيه ، وهي قوة العلم بأحكامه الشرعية ، وقوة الجسم التي يحتاج إليها لحمل أعباء الحكم ، وذكرهم نبيهم بأن الله تبارك وتعالى هو الذي اختاره عليكم وخصه بالملك دونكم ، فالحكم ما حكم الله تعالى والشرع ما شرعه سبحانه وتعالى، لا ما تحكمون وتشرعون ، وقد من الله تبارك وتعالى عليه بسعة العلم وقوة الجسم ، فالأمر منوط بمشيئته تعالى وأمره ، وهو واسع الفضل ، عليم بأحوال خلقه وما يصلح لهم[2] .

وقد فصلت الآيات الأخرى بقية القصة وما جرى فيها من أحداث ومعارك، وكيف انتصر الحق على الباطل وتمت كلمة الله عز وجل، فأصبحت هذه القصة من القصص الرائعة التي تتناقلها الأجيال جيلا بعد جيل.

ثانيا : مناظرة إبراهيم للطاغوت

قال الله تبارك وتعالى : **((أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رِبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ))**[3]، قال رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية : ابتدأت الآية بسؤال تعليم وتعجب، وقد جادل إبراهيم عليه السلام في ربه ويبدو أنه كان طاغية متألها متجبرا ، كما كان فرعون في زمن سيدنا موسى عليه السلام ، لأن الله

١- ينظر : الإسلام لله تعالى في سورة البقرة / ٢٧٨ _ ٢٧٩ .

٢- المصدر نفسه / ٢٨٠ .

٣- سورة البقرة آية / ٢٥٨ .

آتاه الملك والسلطان ، أنكر وجحد فضله عليه، وبدل أن يشكره أنكر وجوده تبارك وتعالى ، وأخذ يخاصم ويجادل في ذلك، ويبدو أن إبراهيم عليه السلام قال هذا جوابا لسؤال وجهه إليه الطاغية، كما قال موسى عليه السلام ، عندما سأله فرعون: **((قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَى ۞ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى))** [1]، فما كان من هذا المغرور المتكبر إلا أن ادعى لنفسه القدرة على الإحياء والإماتة، وما كان من إبراهيم عليه السلام أمام هذا الغرور والتكبر، إلا أن واجهه بناموس من النواميس الكونية، التي أبدعتها القدرة الإلهية، وتعلقت بها المشيئة الربانية القاهرة، والتي لا يستطيع أي إنسان مهما انطمست بصيرته أن يجحدها وينكرها، وهي مسألة مشرق الشمس ومغربها ، وهكذا تمكن سيدنا إبراهيم عليه السلام ، بمنطق الإيمان وقوة حججه ووضوح براهينه أن يحسم بحجة واحدة ملزمة قاطعة ، وكانت النتيجة أن خسر المغرور الجاحد ، وصار مبهوتا منقطعا متحيرا مغلوبا، بعد أن كان مستكبرا مغرورا، والله لا يهدي القوم الظالمين ولا يوفقهم ولا يخرجهم من ظلمات كفرهم وظلمهم[2].

الفصل التاسع : مبادئ أساسية في الاقتصاد الإسلامي

ومن الأمثلة على ذلك..

أولا : السنابل السبع

قال الله تبارك وتعالى : **((مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ))**[3]، قال رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية: أي: ينفقون أموالهم التي رزقهم الله تبارك وتعالى إياها ، لكي يتقربوا إليه جل وعلا ، مستسلمين لأمره، منقادين لشرعه، فتكون النتيجة أن يضاعف الأجر إلى سبعمائة ضعف، فضلا منه سبحانه وتعالى ، الذي لا حد لفضله وإحسانه ، وهذا الأجر يتضاعف على حسب عمل الإنسان بمدى إخلاصه، والله تبارك وتعالى عليم بنيات المنفقين وأحوالهم.

ومن المعروف أن أهم أسس النظام الاقتصادي في الشريعة الإسلامية ، أنه نظام تكافلي اجتماعي تعاوني ، فالواجب المفروض على أصحاب الأموال، أن يخصصوا جزءا معلوما من

١- سورة طه آية / ٤٩ _ ٥٠ .

٢- ينظر : في ضلال القران ١/ ٢٩٧ _٢٩٨ _٢٩٩ ، الإسلام لله تعالى في سورة البقرة / ٢٩٢ _ ٢٩٣ .

٣- سورة البقرة / ٢٦١ .

أموالهم ، للجانب الضعيف المحتاج في المجتمع، وهو أمر إلزامي في أعلى درجات الإلزام في الشريعة الإسلامية ، فهو فرض لازم، وركن أصيل من أركان الإسلام الكبرى[1].

ثانيا : من أضرار الربا

قال الله تبارك وتعالى: ((**يَمْحَقُ اللّهُ الْرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ**))[2]، قال رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية: أي: ينقصه ويهلكه ويذهب بركته ، فالربا لا خير فيه، وعاقبة المال الذي ينمو بالربا إلى البوار ، وأقرب شاهد على ذلك ما تعانيه المجتمعات الربوية من آفات التضخم المالي ، فالأموال الربوية كثيرة، ولكن قيمتها الشرائية تتضاءل يوما بعد يوم ، وقد جاء في الحديث النبوي الشريف عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه عن سيدنا النبي ﷺ أنه قال: ((إن الربا وان كثر فان عاقبته إلى قلة))[3].

وفي مقابل ذلك فالله جل وعلا يزيد الصدقات ويبارك في الأموال التي ينقاد أصحابها لحكمه تبارك وتعالى فيؤدون زكاتها، ويدفعون منها الصدقات الواجبة عليهم، وهو سبحانه وتعالى لا يحب شديد الكفر الذي يصر على استحلال المحرمات ، وقد وصفه بالأثيم الكثير الآثام والمعاصي، المتمادي بها[4].

١- ينظر : الإسلام لله تعالى في سورة البقرة / ٣٠١ _ ٣٠٢ .

٢- سورة البقرة آية / ٢٧٦ .

٣- سنن ابن ماجة _ باب التغليظ من الربا ٢/ ٧٦٥ ، رقم الحديث (٢٢٧٩) ، المعجم الكبير للطبراني ١٠/ ٢٢٣ ، رقم الحديث (١٠٥٣٩) ، المستدرك على الصحيحين للحاكم _ كتاب الرقاق ٦/ ٣٤٣ ، رقم الحديث (٧٨٩٢) وقال : حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخان ولم يخرجاه .

٤- ينظر : الإسلام لله تعالى في سورة البقرة / ٣١٤ .

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين ، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين وبعد ....

فقد تم هذا البحث بعونه تعالى ، وهذه أهم النتائج التي توصلت إليها في بحثي المتواضع هذا استخلصها بما يأتي ....

١. اتضح لنا من خلال المتابعة لحياة الشيخ الشخصية ، أنه رحمه الله تعالى ، ولد بمدينة حماة السورية ، ونشأ فيها وتخرج من مدارسها ، وانتسب بعد ذلك إلى كلية الشريعة بجامعة دمشق ، وتخرج منها عام ١٩٥٧ م .

٢. تبين لنا أنه رحمه الله تعالى ، قد لازم عددا من الشيوخ والعلماء ، طيلة حياته ، وكان من بين هؤلاء الشيخ محمد الحامد الحموي رحمه الله تعالى، وغيره من العلماء .

٣. عمل الشيخ رحمه الله تعالى في عدة وظائف ،منها التدريس في مدارس سوريا ، و عمل إماما وخطيبا في عدد من مساجدها ، وعند ذهابه إلى المدينة المنورة عمل مدرسا في المعاهد المتخصصة في اللغة والشريعة .

٤. كانت للشيخ رحمه الله تعالى ، رحلات علمية عديدة ، في سبيل نشر تعاليم الدين الإسلامي في أرجاء المعمورة ، وإلقاء المحاضرات في عدد من الدول الأوربية وغيرها .

٥. له مؤلفات كثيرة في الفقه واللغة والتفسير، والحديث النبوي الشريف وعلومه والسيرة النبوية المطهرة ، وسيرة بعض الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ، وقد بينت هذه المؤلفات علو كعبه رحمه الله تعالى في العلم والمعرفة .

٦. كان للشيخ رحمه الله تعالى ، منهجا خاصا به في تفسيره للقران الكريم ، إذ حاول إبراز الوحدة الموضوعية للسور القرآنية .

٧. عند قراءتنا لتفسيره رحمه الله تعالى ، تبين لنا انه قد فسر القرآن بالقرآن ، والقرآن بالسنة ، وكان تفسيره متصلا بالواقع الذي يعيشه الإنسان المسلم ، وقد قام بالتعقيب على آراء كثير من المفسرين ، وقد خالفهم في عدة مواضع .

٨. اتسم تفسيره بأنه أعرض عن الإسرائيليات ، وترك الخوض في بيان المبهمات التي سكت عنها القرآن الكريم ، تورعا منه رحمه الله تعالى ، تاركا حكمها والكلام فيها لله سبحانه وتعالى .

٩. تبين لنا عند دراسة تفسيره ، أنه يمتاز بقيمة علمية عالية ، تضعه في مصاف التفاسير المعتبرة ، والتي يمكن أن يعتمد منهاجا في الدراسة الجامعية..

وختاما اسأل الله تبارك وتعالى أن يجعل عملي هذا خالصا لوجهه الكريم ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه أجمعين .

الباحث

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، المعروف بـ(تفسير أبي السعود) ، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى ت٩٨٢هـ ، دار إحياء التراث العربي _ بيروت.

٢- أسباب هلاك الأمم وسقوط الحضارات في سورة الأعراف ، الشيخ عبد الحميد محمود طهماز ، ت ١٤٣٠ هـ دار القلم _ دمشق، الدار الشامية _ بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ ١٩٩٣ م .

٣- الإسلام لله تعالى في سورة البقرة ، الشيخ عبد الحميد محمود طهماز، ت ١٤٣٠هـ دار _القلم دمشق ، الدار الشامية _ بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ ١٩٩٣ م .

٤- الإنسان والسنن الكونية في سورة الروم ، الشيخ عبد الحميد محمود طهماز ، ت ١٤٣٠ هـ دار القلم _ دمشق ، الدار الشامية _ بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ ١٩٩٣ م

٥- أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، المعروف ب (تفسير البيضاوي) ، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي ، ت٦٨٥ هـ تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي ، دار إحياء التراث العربي _ بيروت.

٦- تفسير القرآن العظيم ، المعروف بـ(تفسير ابن كثير) ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي ت ٧٧٤ هـ ، تحقيق سامي بن محمد سلامة ، دار طيبة للنشر والتوزيع .

٧- التفسير الموضوعي للقرآن الكريم بين النظرية والتطبيق، الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار النفائس، الاردن، الطبعة الاولى ١٤١٨هـ ١٩٩٧م.

٨- جامع البيان في تأويل القرآن المعروف ب (تفسير الطبري) ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي أبو جعفر الطبري، ت٣١٠هـ، تحقيق أحمد محمد شاكر _ مؤسسة الرسالة .

٩- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه ، المعروف ب (صحيح البخاري) ، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري ، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر ، دار طوق النجاة.

١٠- الجامع لأحكام القرآن المعروف ب (تفسير القرطبي) ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي ، ت ٦٧١ هـ، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم اطفيش ، دار الكتب المصرية _ القاهرة .

١١- روح البيان، إسماعيل حقي بن مصطفى الاستانبولي الحنفي المولى أبو الفداء ، ت ١١٢٧ هـ ، دار الفكر _ بيروت .

١٢- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي.

١٣- سنن ابن ماجة ، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني وماجة اسم أبيه يزيد ت ٢٧٣ هـ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء الكتب العربية _ فيصل عيسى البابي الحلبي.

١٤- عاقبة الطغيان والفساد في سورة القصص ، الشيخ عبد الحميد محمود طهماز ، ت ١٤٣٠ هـ دار القلم _ دمشق ، الدار الشامية _ بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ ١٩٩٣م

١٥- في ضلال القرآن ، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي ت ١٣٨٥ هـ ، دار الشروق _ بيروت _ القاهرة ، الطبعة السابعة عشر ١٤١٢ هـ .

١٦- القرآن والمغيبات في سورة ص ، الشيخ عبد الحميد محمود طهماز ، ت١٤٣٠هـ دار القلم _ دمشق، الدار الشامية _ بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ ١٩٩٣ م .

١٧- لباب التأويل في معاني التنزيل المعروف ب (تفسير الخازن) ، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن المعروف بالخازن ، ت ٧٤١ هـ تحقيق محمد علي شاهين ، دار الكتب العلمية _ بيروت .

١٨- المجتبى من السنن ، السنن الصغرى للنسائي ، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب الخراساني النسائي ، ت ٣٠٣ هـ تحقيق عبد الفتاح أبو غدة ، مكتب المطبوعات الإسلامية _ حلب .
١٩- مدارك التنزيل وحقائق التأويل المعروف ب (تفسير النسفي) ، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي ، ت٧١٠هـ حققه وخرج أحاديثه يوسف علي بدوي ، راجعه وقدم له محيي الدين ديب مستو .
٢٠- المستدرك على الصحيحين ، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع ت ٤٠٥ هـ تحقيق مصطفى عبد القادر عطا .
٢١- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ المعروف بـ(صحيح مسلم) ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، ت ٢٦١ هـ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.
٢٢- المعجم الكبير ، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي أبو القاسم الطبراني ، ت ٣٦٠ هـ تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي ، مكتبة ابن تيمية _ القاهرة .
٢٣- مفاتح الغيب أو التفسير الكبير ، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري ، ت ٦٠٦ هـ دار إحياء التراث العربي _ بيروت ، الطبعة الثالثة ١٤٢٠ هـ .
٢٤- المقابلة الحكيمة والموازنة المستحيلة ، الشيخ عبد الحميد محمود طهماز ، ت ١٤٣٠ هـ دار القلم _ دمشق، الدار الشامية _ بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ ١٩٩٣ م .